تقرير ديبلوماسي سري يكشف الاسرار ويحلل الابعاد:

تغيير النظام اللبناني نحو المعسكر الشرقي!

التشييع جسر للشيوعية يمكن عبوره بسهولة اذا سقط النظام اللبناني

دبابات سوريا لـ"امل" رمز للدخول السوفياتي والسؤال: ضد من ستوجه بعدالفلسطينيين؟

في جلسة من جلسات المصارحة قال ديبلوماسي قديم امام احد السياسيين: "هل تعرف ما معنى المبعوث الغربي الى الشرق الاوسط؟" واجاب الديبلوماسي: "معنى ذلك ان هناك مبعوثاً آخر يأتي وراءه سراً بعد ان يغادر الاول البلاد علناً". وكلما تسلطت الاضواء على موفد اجنبي او على بعثة ديبلوماسية زائرة او مستطلعة كان القصد صرف الانظار عن عملية استطلاع حقيقية او دراسة سياسية وعسكرية واستراتيجية يقوم بها في المنطقة فريق آخر يعمل في طي الكتمان وبعيداً عن اضواء الصحافة واخبار وكالات الانباء.

في الاسبوعين الماضيين اعيدت الى الاذهان هذه الفكرة بعدما توالت الاخبار عن الموفدين الاوروبيين وغيرالاوروبيين الى المنطقة والى لبنان بشكل خاص. والواقع ان هناك بعثات اجنبية مختلفة الالوان والجنسيات بين اميركية وانكليزية وسوفياتية وفرنسية كانت تراقب بدقة تطور الاوضاع في الشرق الاوسط وتوالي ارسال التقارير الى مراكزها لالقاء مزيد من الاضواء على الحقائق قبل انعقاد قمة الشرق والغرب في تشرين المقبل.

وكانت هذه التقارير ذات اهداف محددة ترمي الى رسم اطار الرؤيا السياسية والتمهيد لوضع الخطط بالنسبة الى مستقبل الشرق الاوسط، ومنها على الاخص ما يتعلق بمثلث لبنان - سوريا - اسرائيل ولوحظ ان بعض هذه التقارير يتصف بالشمول بحيث يتعدى الاطار السياسي وحده الى المعطيات العسكرية والاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية تحسباً لردود الفعل المرتقبة على كل حادث قد يحدث في المستقبل المتوسط والبعيد المدى. وقد حصل "النهار العربي والدولي" على مضمون احد التقارير البريطانية المتعلقة بالوضع في لبنان وتفاعلات هذا الوضع مع ما يحضر في المنطقة من مشاريع حلول ومشاريع مضادة على مختلف الصعد وجميع المستويات. ويقول التقرير إن مضمونه هو نتيجة دراسة ميدانية قام بها فريق متخصص في الدراسات الاستراتيجية لمنطقة الشرق الاوسط، وان المعلومات قد جمعت من بيروت ودمشق وعمان وطهران والقاهرة والرياض. وان الفريق الذي وضع هذا التقرير - الدراسة هو خريج المدرسة السياسية التي اعدت تقارير مشابهة في اواخر الاربعينات في المنطقة ولاسيما في فلسطين ابان نشوء الدولة الاسرائيلية.

التقرير

يتضمن التقرير تصوراً واضحاً لما تقبل عليه المنطقة من تطورات هي، بحسب تعبير التقرير، شبيهة بطبخة على "مرجل سريع". ويضيف التقرير ان الدول العربية مقبلة على تطورات داخلية بالغة الاهمية وينبغي ان يؤخذ في الاعتبار هذا التغيير بالنسبة الى كل برنامج يعد للبنان، لان هذه التطورات العربية ستنعكس حتما وبشكل مباشر على الوضع في البلد الصغير. ومن هذه التغييرات التي يترقبها التقرير ما هو قريب المدى قد يقع قبل انتهاء فصل الصيف الحالي، ومنها ما هو مؤجل بحيث ينتظر وقوعه في اوائل السنة المقبلة. وهذه التغييرات تشمل:

١ - انقلابات تستهدف انظمة عربية معينة قد تؤدي في بعض الاقطار ليس الى تغيير النظام فقط بل الى تغيير بنية الدولة واساس الكيان.

٢ - اغتيال مسؤولين وسياسيين من الصف الثاني.

٣ - اضطرابات امنية داخلية في بعض اقطار المنطقة وفي اوقات محددة.

٤ - تبادل موجات العنف والعنف المضاد بين انظمة واخرى تتخذ شكل انتقامات وردود فعل.

٥ - بروز موجات التطرف الديني بشكل اعنف واكثر فعالية في توجيه دفة السياسة والاتجاه العام في عدد من دول المنطقة.

٦ - تبديلات وتغييرات في التحالفات الداخلية بين الاطراف والاحزاب من جهة وبين الانظمة من جهة اخرى.

٧ - ظهور ادوار جديدة لابطال جدد في بعض مراكز المسؤولية في بعض الدول العربية.

ولا يستبعد التقرير، بالنسبة الى المعلومات التي توافرت لواضعيه، ان يفاجأ العالم في المستقبل القريب بعملية اغتيال قد تتناول شخصية كبرى ويكون لها دوي اشبه بالصاعقة. ولا يستبعد التقرير ان يكون الاعداد لهذه المحاولة من قبل اطراف هم ابعد ما يكونون عن الظن في هذا المضمار.

ويتوقف التقرير بصفة خاصة عند الوضع في لبنان ويرى ان الفصل الحالي في لبنان هو فصل حسم بعض القرارات المصيرية، والمعلومات المتوافرة تسمح له بأن يؤكد ان الدول العربية تعمل كلها بسرعة مجتمعة ومنفردة لانهاء الوضع في لبنان ولكل منها دوافع خاصة تحملها على هذا الاسراع. ويحدد التقرير الفترة الواقعة بين نهاية ايلول ومنتصف تشرين المقبل كحد اقصى لبروز معالم الحسم في لبنان.

ويقول التقرير ان المعلومات تجمعت لدى واضعيه من خلال جولاتهم في المنطقة وان الساحة اللبنانية تبدو من خلال هذه المعلومات كأنها ساحة شد الحبال بين فريقين في المنطقة هما عرب الرفض ووراءهم ارتباطات العالم الشرقي وعرب السلام ووراءهم ارتباطات عالم الغرب.

غليان لا سلام

وكان التقرير قد وضع قبل بت مسألة اعلان القمة العربية. وكان هذا الموضوع مدار جدل تخلله كثير من الاخذ والرد. ويرى التقرير من خلال الجولات التي قام بها واضعوه ان القمة العربية لا بد ملتئمة ولكن هذه القمة ستكون قمة مواجهة بين الاطراف المتنازعة ولاسيما بين عرب الرفض ووراءهم اليسار الدولي وعرب السلام ووراءهم دول الغرب. ويستنتج التقرير بعد تحليل معطيات الوضع العربي على اعتاب اجتماع القمة ان هذه القمة لن تكون قمة اهداف بل ستكون قمة تسجيل نقاط، وانها على كل حال لن تعدو ان تكون سحابة صيف في منتصف هذا الصيف قد تستوجب بعد انقضائها ترتيبات عربية اخرى لمواجهة مستجدات قد لا يكون بعضها في الحسبان.

وبالنسبة الى القوى العربية المتصارعة يشير التقرير الى ان جبهة عرفات - الحسين سجلت علامتين حتى قبل انعقاد المؤتمر العربي ضد خصومها، وهما:

اولا: توصل ياسر عرفات الى قطف الاوراق الفلسطينية عبر انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في عمان

ثانيا: نجاح فكرة عقد المؤتمر وهو في الاساس اقتراح غير بعيد عن التحالف العرفاتي - الاردني.

في المقابل يقول التقرير ان سوريا تراهن على ان الجولة الاردنية - الفلسطينية ستدور في حلقة مفرغة ولا بد من العودة الى المحور السوري لان محاولات الحل الاميركي مكتوب لها ان تصب في النفق المسدود. فالمعلومات تشير الى المرحلة في المنطقة ليست مرحلة سلام ولكن مرحلة غليان وخلط اوراق ومواجهة ومن هنا يتخذ الرهان السوري على عدم نجاح محاولة السلام ابعاداً خاصاً. فالسوريون، كما يقول التقرير،

واثقون من اخفاق المحاولة وعودة اصحابها الى الخط السوري.

مصر وايران

ويضيف التقرير ان التغييرات المنتظرة في المنطقة ضمن دائرة الغليان المشار اليه قد لا تكون اسرائيل بعيدة عنها مباشرة او بالواسطة عن طريق احداث الفعل او ردود الفعل لاثارة كثير من الغبار. فمن ذلك ما يجري على الساحة المصرية من مظاهر التطرف الاسلامي والارباك السياسي. ويعتبر ان ما يجري في مصر ظاهرة خطيرة قد تقلب طاولة العالم العربي رأساً على عقب.

ومن ذلك ما يجري في ايران، وسياسة ايران هي بالاختصار سياسة تعميم الثورة الاسلامية وتصديرها الى الخارج، واول محطة من هذا التعميم والتصدير ستكون في لبنان حيث ستنشأ اول محاولة لأقامة دولة اسلامية شيعية هي الثانية بعد ايران. ولذلك، يقول التقرير، تضع ايران كل ثقلها لتغيير النظام في لبنان لا من اجل مزيد من العدالة او تكافؤ الفرص او التوازن بين الاطراف – وهي الشعارات المعلنة لطالبي التغيير – بل لاقامة دولة اسلامية شيعية عربية ان لم يكن على كل الاراضي اللبنانية فعلى الجزء المتيسر منها.

لذلك، يقول التقرير، الحرب العراقية – الايرانية لن تنتهي الا بغالب ومغلوب، فإما سقوط الجمهورية الاسلامية في ايران ومعها مشاريع تصدير الثورات، او سقوط النظام العراقي بحيث تكون ايران نجحت في خلق او وضع اسس جمهورية اسلامية عربية بعد الجمهورية الايرانية الاسلامية، بحيث يصبح من الاسهل تصدير الثورة نحو الخليج وباقي الانظمة العربية انطلاقاً من جمهورية عربية واسلامية.

واعاد التقرير الى الاذهان تزويد اسرائيل لايران بالسلاح والمعدات وقطع الغيار في حرب الخليج.

ويصف التقرير الخطة الايرانية بانها – كما سماها – خطة اختراق الخاصرة الرخوة، بمعنى ان السياسة الايرانية تتلمس المناطق الاضعف سياسياً وذات الاكثرية الشيعية نسبياً لتحدث فيها الاضطرابات تمهيداً لاقامة الامتدادات للثورة الشيعية الاسلامية. واذا كان لبنان هو اول هذه المناطق الذي أستقطب اهتمام الايرانيين فأنه لن يكون آخرها، فهناك مناطق اخرى في الخليج، وفي الكويت بالذات.

اسقاط لبنان

ويتخوف التقرير من ان لا تكون مرحلة التشييع في لبنان هي المرحلة الاخيرة. فمن الصيغة الشيعية الى الصيغة الشيوعية لا تبقى الا قفزة واحدة. وسوف يكون من السهل تصور احداث هذه القفزة عندما يسقط النظام في لبنان وتتهدم الصيغة وموازناتها ويصبح كل شيء عرضة لكل الاحتمالات وقد خصص التقرير في اطار هذه الخطة اللوحة للوضع في المنطقة فصلا خاصاً عن الوضع في لبنان تناول مختلف وجوهه واحتمالات تطوره المقبلة. ففي هذا الاطار يشير التقرير الى ثلاث خطط او على الاصح





الجميل

الاسد



ريغن

غورباتشوف



ثلاث مراحل من خطة واحدة هي:
- خطة احتواء النظام.
- خطة اسقاط النظام.
- خطة تغيير النظام.

وينظر التقرير الى تنفيذ هذه الخطط الثلاث من خلال تفاهم بين بعض الدول العربية والاتحاد السوفياتي. وتمتد ركائز هذا التفاهم بين ايران وسوريا ولبنان في سبيل التمهيد للمد السوفياتي في المنطقة. وهكذا يصبح التشيع جسراً للشيوعية وليس بينهما الا فارق بسيط يصبح اجتيازه ممكناً بعد سقوط النظام اللبناني. وترسم الخطة مراحل هذا التشييع عن طريق التحكم اولا بالشارع الاسلامي على رغم ما يبديه هذا الشارع من محافظة على الرموز السنية التقليدية.

ويتحدث التقرير عن الخطط التي اعدت ونفذت لجعل التمثيل داخل الصف الاسلامي تمثيلا اسلامياً يسارياً بعدما ابعد السني التقليدي عن الواجهة السياسية، ومن ابرز المبعدين الرئيسان صائب سلام وتقي الدين الصلح، ناهيك بالمعركة الاخيرة ضد "المرابطون" ثم ضد "اتحاد قوى الشعب العامل" وما يمثلانه وما يقف وراءهما من انظمة عربية محافظة او معتدلة خليجية وغير خليجية.

وتأتي المرحلة الثانية بعد السيطرة على الشارع الاسلامي وتهويته ودفع الشيعة الى تعمير معالم وجه "لبنان المسيحي". (وقد اصبح نبيه بري يساوي بين المارونية والصهيونية مبتدعاً ظاهرة عداء لاسامية جديدة) وهي مرحلة وضع لبنان في صف دول المعسكر الشرقي. وستكون هذه النهاية شبه حتمية عندما يفقد لبنان التقليدي الماروني – والسني عناصر مقاومته وعناصر صموده امام التيارات التي تعصف على ارضه. ووضع لبنان في صف الدول الشرقية يبدو في تقديرات اصحاب التقرير امراً ممكناً لاسيما



وانهم لم يجدوا في لبنان – كما تقول عبارة التقرير – سياسيين استراتيجيين وان وجدوا، خاصة في الصف المسيحي، سياسيين تكتيكيين بارعين. بالاضافة الى ان لبنان يبدو في صورة البلد المنهوك من الضرب وقد نجحت المرحلة الاولى من محاولات تفريغه من النفوذ الغربي، بعد سلسلة الاعتداءات على القوات المتعددة الجنسية واضطرار "المارينز" الى الانسحاب من لبنان ودفع اميركا اخيراً الى مقاطعة لبنان.

ويركز التقرير على ظاهرة اساسية تبرز في الشرقية والغربية معاً هي ظاهرة المهجرين واهالي المخطوفين. فهم يشكلون منطلقاً مثالياً للثورات الاجتماعية التي غالباً ما تؤدي الى نشوء الانظمة الاشتراكية او الشيوعية. ومن المعروف ان الاتحاد السوفياتي خبير في استعمال بؤر الجوع والفقر في العالم لتوليد انظمة موالية له او دائرة في فلكه أو في سبيل اضعاف او تفكيك الانظمة الرأسمالية التي تضم مثل تلك البؤر في مجتمعاتها.

ويسهب التقرير في الكلام على ان المسيحيين اللبنانيين هم افضل اللبنانيين والعرب، تاريخياً، في الترويج للافكار الثورية والتقدمية، لذلك يجرى الآن التحضير لاطلاق فريق من السياسيين المسيحيين الجدد المؤيدين للسياسة السوفياتية واعتبارهم الممثلين الحقيقيين للشارع المسيحي، على اساس ان الشارع المسيحي هو المسيحيون الفقراء، وافقر المسيحيين الفقراء هم المهجرون، واذا امكن "اختراق" المهجرين يسارياً سهلت كثيراً عملية "مركسة" الشعب المسيحي. وبهذه الطريقة ينتقل لبنان من الغرب الى الشرق على جناحي الشيعة والموارنة عوض ان يعتمد فقط على الجناح الشيعي.

ويقول التقرير انه اذا كانت موسكو تستغل حالياً موجة التعصب الديني الاسلامي العاصفة بالشيعة فانها تعتبر ان الدور الشيعي يبقى ناقصاً ما لم يكتمل بالدور المسيحي. ويشير التقرير الى انه بدأت تتكون ملامح التحرك اليساري مع محاولة انشاء جبهة سياسية تضم مسيحيين جدداً الى جانب التمثيل الاسلامي الجديد.

ويرتكز التقرير على عدد من القرائن للدلالة على نجاح خطة نزع لبنان من منطقة النفوذ الغربي تمهيداً لدفعه الى الفلك غير المباشر لدول المعسكر الشرقي. فمن هذه القرائن ما يلتقي مع مصلحة اسرائيل في الامعان بابعاد لبنان عن التحالف الغربي حتى تظل وحدها مستأثرة بما يسمى رأس الحربة الغربية في عالم الشرق، لاسيما وان لارتباط لبنان الغربي عدداً من المغازي والمصالح التي تأخذ الكثير من طريق طموحات اسرائيل ومصالحها.

ومن هذه القرائن ايضاً سرعة انقضاض العالم الشرقي على استغلال فرصة مقاطعة اميركا للبنان لجني مصالح ومد جسور وقطف ثمار.

ويشير التقرير الى مشاريع عديدة لانشاء نظام اقتصادي لبناني على غرار الدول الاشتراكية يراعي المعطيات اللبنانية الخاصة وينص على خطط اقتصادية تكاملية وتنسيقية مع الدول العربية المنتمية اليوم الى المعسكر الشرقي قليلا او كثيراً.

ويقول التقرير ان عملية خلق معسكر عربي – شرقي تحت سيطرة سورية هو مشروع قديم كان قد بحث خلال قمة جمعت الرئيسين اندروبوف والاسد، وكان يشمل ايران والعراق والاردن وسوريا ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية.

بعد الجمهورية الاسلامية الايرانية
جمهورية اسلامية عربية
على جزء من ارض لبنان

امكان تحول مشكلة المهجرين
الى بؤر ثورية
يستغلها الشيوعيون

هل تتخلى اميركا عن لبنان
من أجل حل للمشكلة الفلسطينية
يتم تحت مظلتها؟

ولكن الاجتياح الاسرائيلي صيف ٨٢ عطل الخطة ومعها العلاقات السوفياتية–السورية. ويقول التقرير ان السوريين حاولوا بعد ذلك تقريب وجهات النظر بين الايرانيين والفلسطينيين بحيث جرت لقاءات على اعلى المستويات في دمشق بين مسؤولين ايرانيين ومنظمة التحرير، ولكن لم يتفق الطرفان حول وجهات النظر، مما يفسر، وحسب التقرير، اندلاع المعارك بشراسة بين الفلسطينيين حيث انشق هؤلاء الى جبهة تؤيد التحرك السوري – الايراني وجبهة برئسها عرفات متحالفة مع فلسطين الضفة الغربية ومع عرب الخليج والاردن، اي مؤيدة للمعسكر العربي الغربي.

ولكن هذه الجبهة الفلسطينية المنتمية الى المعسكر العربي الغربي عرفت كيف تحافظ على علاقات مميزة مع الاتحاد السوفياتي وذلك من خلال جعل موسكو تعي ان الورقة الفلسطينية او ما يسمى القرار "الفلسطيني المستقل" ما زال رهناً بعرفات وجماعته. ويقول التقرير ان العنصر الفلسطيني هو عنصر اساسي في ما يختص بالسياسة السوفياتية في المنطقة.

ويتابع التقرير انه، وخلال الزيارة الاخيرة التي قام بها الرئيس الاسد للاتحاد السوفياتي حيث التقى الزعيم السوفياتي غورباتشيوف، جرى البحث في المشروع نفسه، مشروع انشاء المعسكر العربي الشرقي.

دخول الدبابات السوفياتية

تنتهي هنا معلومات التقرير التي يمكننا نشرها. وجاءت التطورات الاخيرة بمثابة تكملة للمعلومات التي بني عليها هذا التقرير، وكان دخول ٥٤ دبابة سوفياتية الصنع عبر سوريا وفي وضح النهار ظهر يوم الثلثاء الماضي الى لبنان كأن في توقيته ودلالته ليس مجرد حدث عسكري بل رمز لدخول سوفياتي من ابواب عدة ولغير هدف واحد، وربما، كما يقول بعض الديبلوماسيين، في اطار موافقات قد تتعدى العالم السوفياتي وحده. وجاء دخول هذه الدبابات السوفياتية متلازماً مع احداث وقرائن محلية ودولية اهمها اعلان برنامج "التحالف الوطني" تحت المظلة السورية في لبنان وما يتضمنه من بنود. وامتناع الولايات المتحدة الاميركية عن تزويد الجيش اللبناني الشرعي معدات عسكرية تمكنه من القيام بدوره.

وكان لدخول الدبابات السوفياتية الصنع معانٍ عدة اهمها دعم حركة "امل" الشيعية وتمكينها من كسب ما لم تستطع كسبه في الجولة الماضية على صعيد حرب المخيمات. ولكن السؤال الذي يطرح بداهة هو: اذا تمكنت حركة "امل" فعلا من السيطرة على المخيمات في بيروت ومواجهة عرفات في صيدا كما تفيد المعلومات عن وقوع معركة صيدا قريباً، السؤال يبقى: ما هي المرحلة الثانية بعد الانتصار بالدبابات السوفياتية الصنع والى اين ستتجه فوهات هذه الدبابات بعد الفراغ من معركة السيطرة على المخيمات الفلسطينية؟ اذا نجحت!

تعليق

وقد علق وزير خارجية سابق على فكرة تكريس واقع المعسكرين العربيين بين شرق وغرب بالقول: الخوف هو ان يكون هذا التكريس نتيجة وفاق دولي بحيث تتنازل الولايات المتحدة عن محاولة كسب لبنان وكل العالم العربي الى الغرب في مقابل تكريس حل للمشكلة الفلسطينية تحت المظلة الاميركية خدمة لاسرائيل. ولكن يبقى السؤال: هل يحصل فرز الاوراق (او اعادة خلطها) قبل لقاء ريغن – غورباتشيوف... اذا سمحت صحة الرئيس الاميركي بعقده؟

لكن بعض المراقبين، وبعد الاطلاع على التقرير البريطاني المشار اليه اعتبروا انه يبالغ في تصوير المستقبل متجهماً فمن غير الاكيد ان هذه الخطة ستنجح. وشكك المراقبون في ان يكون الدور السوري دوراً سوفياتياً بعد عمليات الغزل المتبادلة التي كانت وما زالت تحصل بين اميركا وسوريا، وسوريا ما زالت تراهن على سياسة حيادية نوعاً ما تجاه الجبارين. والسياسة نفسها تحاول ان تتبعها في لبنان بحيث لن يكون انتصار للسياسة اليسارية ولا للسياسة اليمينية، ولن يكون غالب ولا مغلوب، ولكن يعاد بناء لبنان على اساس اللاغالب واللامغلوب. والصيغة الخاصة بهذا الوطن الفريد من نوعه من خلال تكوينه وتركيبه. وبذلك يصبح من الاسهل لسوريا وحسب هؤلاء المراقبين ان تدير الازمة اللبنانية كما تشاء وحسب مصلحتها الخاصة.

ولكن يعود هؤلاء المراقبون ليبدوا تخوفاً، ألا وهو انه وفي ظل هذه الاجواء المشحونة والخصبة لتمرير اي مشروع من مشاريع المؤامرات الدولية، ماذا يحصل اذا تغيرت الخريطة السياسية لبعض دول هذا العالم العربي؟

نبيل براكس

النهار العربي والدولي، ٥-١١ آب ١٩٨٥، صفحة ٦، ٧، ٨